سنة ١٨٧٠	ثمن الاوقية ٦٠ بنسا	١٩١٣	٢٧ ٧/٨
» ١٨٨٠	» » ٥٢ »	١٩١٥	٢٣ ٧/٨
» ١٨٩٠	» » ٤١ »	١٩١١	٣١ ٧/٨
» ١٩٠٠	» » ٢٨ »	١٩١٧	٤٠ ٧/٨
» ١٩١٠	» » ٢٥ »	١٩١٨	٤٧ ٧/٨

العرب واستكشاف اميركا

وهو بحث عن محاولة العرب

استكشاف اميركا للمرة الثانية

فطر الله العرب على الولوع بالسفر في البر وبرأهم على الشغف بتجشم الخطر في البحر. لذلك تراهم مسوقين منذ نشأتهم الاولى الى استطاء متون المطايا يهيمون بها في جواز الفلاة لاكتشاف المجاهل وارتياد الآثار والى ركوب الجواري المنشآت كالاعلام لاستقراء ما وراء البحار. حتى اذا جاء الاسلام ودانت به مصر وظهرت كلمتهُ في شمالي افريقية وارتفعت رايتهُ على ارض الاندلس اتفتحت الطريق امام روادهم وسفارهم. فاخذوا يجوسون خلال الديار ويتعرفون المآثر والآثار ويدوّنون ما وقفوا عليهِ من غرائب المعلومات وما وصل اليهم من طرائف الاخبار. وما زالوا يتقصون مرحلة فرحلة حتى انتهت بهم غاشة المطاف على ساحل بعيد الغور تتقاذف عليهِ الامواج كأنها الجبال المتلاطمة تتوالى فوقها ظلمات الضباب المتكاثفة فوقفوا مذعورين مروعين امام هذا البحر الزخار المخضم المخيف وقالوا هذه نهاية العالم وهذا بحر الظلمات! هكذا سموا المحيط الذي وصفوهُ بالبحر الاخضر لظلمتهِ وسوادهِ وهو الذي نعرفهُ نحن الآن باسم المحيط الاطلنطي

غير ان ما جبلوا عليهِ من حب التطلع كان مع ذلك يحدوهم الى التفكير فيما عساهُ يكون وراء ذلك البحر المحيط والى محاولة النفس والسير بها في تيار

الهواجس بأمل الوصول الى عبره الآخر والوقوف على شاطئه الثاني الذي كان يجول بخواطرهم انهُ موجود بلا شك في الجهة المقابلة لهم وراء تلك الامواج المتلاطمة

نعم ان النورمانديين قد سبقوا العرب الى الاضطلاع بهذا الوسواس اولئك النورمانديون الذين اغاروا على بلاد الاندلس وسماهم العرب بالمجوس. فقد حاولوا اجتياز المحيط قبل العرب بقرنين من الزمان دون أن يفلحوا فيما حاولوهُ ولكنهم كان لهم فضل السبق على كل حال . ثم جاء العرب من بعدهم فحاولوا ذلك على ما هو مشهور ومعلوم. وكان ذلك فيما قيل سنة ٥٨٠ هـ (١٠٨٤ م) وهي السنة التي استردّ البرتقاليون فيها طاسته لشبونة وطاردوا العرب منها طرداً نهائياً . فلقد كان بها ثمانية من شباب المسلمين كلهم ابناء عم قد استهواهم هذا الخطر وكثيراً ما استهوى الخطر نفوس الشباب . فهابت بهم همتهم الى ركوب هذا البحر فقذفوا بانفسهم فيهِ غير مبالين بما هم مقدمون عليهِ اذ كانوا يطمحون الى اكتشاف ما وراءهُ من البرور الجديدة . ولكن امواج البحر ابتلعتهم فراحوا ضحية العزيمة والاقدام مثل من راح قبلهم ومن راح وروح بعدهم من كبار النفوس وانطوى على آمالهم الخسام سجل النسيان . فقد طمست يد الزمان اخبارهم وتفاصيل احوالهم ولم يصل الى علمنا سوى الخبر القذ الذي رواهُ لنا عنهم الشريف الادريسي رحمهُ الله . فقد اشار الى رحلتهم التي لم تأت بنتيجة ودوّنها لنا وهو في مدينة بلرم عاصمة صقلية حيث الف كتابهُ الشهير الموسوم « بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي صنفهُ برسم ملكها النورمانديّ « رجار » ولذلك سماهُ كثير من كتاب العرب مثل الصفدي وابن خلدون وغيرهما بكتاب رجار واما ابن فضل الله العمري فانهُ يسميهِ كتاب أجّار اخذاً عن التسمية الطليانية (Ruggiero) بعد حذف الراء من اوله . وقد سبق لنا شرح هذه الحادثة في محاضرة القيناها امام نادي المدارس العالية فلا محل للرجوع اليها هنا

مضى على هذه المحاولة قرن ونصف قرن من الزمان وما زالت نفوس المسلمين في مغارب الارض هائمة بالوقوف على ما وراء هذا البحر حتى لعب هذا الخاطر برأس أمير قطونخ بان المحاولة الثانية للوصول الى هذا الغرض . ولكن ذلك

كان بعيداً عن ربوع الاندلس الزاهرة وفي بلاد ينبت فيها التبر والنضار . ذلك ان سليمانياً من سليمانيات غانة أخذ يفكر في هذا الامر وجعله هجّيراه وصار يهجس به ليله ونهاره حتى شغله عن كل امر سواه وملك نفسه ومشاعره فكان يحدث نفسه بانهُ لا بد ان يكون وراء هذه الامواج بر ور لا يستحيل على من يواصل السفر بطريق البحر ان يصل اليها . ثم ما لبث ان شرع في تحقيق هذا الفرض والسعي الى تحقيق هذا الفرض

وصل الينا هذا الخبر لا عن طريق بلرم بل عن طريق القاهرة وعلى يد رجل من ذرية الفاروق اعني به ابن فضل الله العمري

هذا وقد قال ابن خلدون ان اهل غانة اسلموا في اول الفتح وذكر ابو الفدا ان سلطان غانة ينتمي النسب الى الحسن بن علي عليهما السلام وما زال اهلها يجوبون الصحراء ويجيئون الى القاهرة في كل عام للذهاب الى حج بيت الله الحرام. ومن احدهم وهو سلطانهم منسى موسى (ومنسى معناها السلطان) علم ابن فضل الله العمري ما حاوله سلفهُ على سرير السلطنة من اجتياز البحر المحيط الى الشط الآخر . وقد نقل ابن فضل الله هذه البيانات عن امير حاجب والي القاهرة والقرافة الذي غيبهُ سلطان مصر مهنداراً لذلك السلطان منسى موسى اثناء اقامته بالقاهرة . فقال امير حاجب : سألت السلطان موسى كيف انتقلت اليه المملكة فقال نحن اهل بيت نتوارث الملك . وكان الذي قبلي لا يصدق ان البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره واحب الوقوف على هذا ولج به . فجهز مئين مراكب مملوءة من الرجال ومئين مملوءة من الذهب والماء والزاد ما يكفيهم سنين . وقال للمسافرين فيه : لا ترجعوا حتى تبلغوا نهاية او تنفد ازوادكم وماؤكم ! فساروا وطالت مدة غيبتهم لا يرجع منهم احد حتى مضت مدة طويلة . ثم عاد مركب [illegible] وقال [illegible] كان [illegible] الريح وسيرهم فقال تعلم بها السلطان اقامتهم زماناً طويلا حتى مرض في لجة البحر وادر لهُ جرية قوية وكنت آخر تلك المراكب . فاما تلك المراكب فانها تقدمت فلما صارت الى ذلك المكان ما عادت ولا بانت ولا عرفت ما جرى لها . واما انا فرجعت من مكاني ولم ادخل ذلك الوادي قال فانكر ذلك . قال ثم ان ذلك السلطان اعد في

مركب ألفاً لهُ ولرجال استصحبهم معهُ وألفاً للزاد والماء ثم استخلفني وركب بمن معهُ في البحر المحيط وسافر فيهِ . وكان آخر العهد بهِ وبجميع من معهُ وانتقل لي الملك »

هذا وان ابن فضل الله العمري هو اول من دوّن لنا هذه البيانات في الجزء الثاني من موسوعاته المرسومة «مسالك الابصار في ممالك الامصار» (ص٥٠٣) وقد نقله القلقشندي (بعد ٦٥ سنة) في كتاب صبح الاعشى (ج ٥ ص ٢٩٥) مع بعض تغيير طفيف في العبارة دون ان يأتي بشرح جديد او ان يضيف لنا معلومات اخرى او يعلق عليهِ بشيء من عندهِ

اما السلطان الرحالة المشار اليهِ في تلك النبذة فهو (محمد تاو) واما التاريخ الذي دوّن فيهِ ابن فضل الله حكاية هذه الرحلة فهو سنة ٧٢٤ من الهجرة (١٣٢٤م) أي عند مرور السلطان منسى موسى بالقاهرة وقد كان لمقامهِ بها طنة ورنة وظل تحدث الناس عنهُ

واما الوادي الذي قال صاحب السفينة بانهُ رآهُ في وسط البحر فهو بلا شك التيار الذي يخترق المحيط الاطلنطي ويعرف عند الجغرافيين واهل البحر باسم تيار غانة Courant de Guinée قال عنهُ ملطبرون ما ترجمتهُ « ان التيارات البحرية التي تصدر من خليج المكسيك تخترق المحيط الى ان تفترق عند شطوط افريقا فتندفع شمالاً على سواحل بلاد المغرب وتنقذف جنوباً على سيف بلاد غانة ولكنها قبل ان تصطدم في خليج غانة بالتيارات الآتية من الجنوب تصادف في سيرها رؤوساً بعيدها واجزراً تجعل تدفقها مقروناً بالخراب والدمار »

لقد كان الدهش نصيب ذلك الملك الجارف الجسور كما كان نصيب نتيان لشبونة قبلهُ فلم يجن احد منهم سوى الهلاك . على ان مثل هذه المجهودات دليل على ان المسلمين في [illegible] يارون منذ اقدم العصور بوجود ارض جديدة وراء البحر الاطلنطي غير انهُ كان مكتوباً في ثنايا الاقدار ان يعود فخر اكتشاف اميركا الى كريستوف كولمبس الذي عثر عليها صدفة واتفاقاً وهو يبحث عن طريق الهند من جهة الغرب

احمد زكي